الرتب الملكية في الدولة العلية

لحضرة الحسيب النسيب السيد محمَّد الهادي بيرم

ابتدأت هذه الرتب من زمن السلطان سليمان القانوني وكانت لا تتجاوز ثلاثاً وذلك ان الشبان المستعدين للدخول في خدمة الدولة في مصالحها الاداريَّة او في السراي السلطانيَّة كانوا ينتظمون اولاً في مكان يعرف الى الآن باسم " اندرون " (وهو الآن لتربية الخدَم) وحينما يخرجون منهُ متعلمين فنون الانشاء والادب والنظام وغيرها ينتظمون في سلك الكتاب وينالون رتبة " خواجكان ديوان هايون " ويترقون الى رتبة " ميرميران " وهي المعروفة عند الافرنج بباشا ذي توخ واحد (والتوخ ذيل فرس يحمل امامهُ) ومن هذه الرتبة يترقون الى منصب الوزارة ولم تكن هذه الرتب كلها تعطى الاَّ لعدد قليل من المستخدمين لا يتجاوز السبعين او الثمانين . وكان المتوظفون الذين يرسلون في مهام مخصوصة بسفارة سياسيَّة او تبليغ اوامر عسكرية يطلق عليهم لقب « زكاب هايون قبوجي باشي » وهي رتبة شبيهة باليلور في الازمان الحاضرة وتعرف في تواريخ العرب الحديثة وتواريخ الافرنج باسم « قابجي »

ولما اتسعت الدولة ونظمت ايالاتها في قارتي اوربا واسيا جعلت في كل قارة رئيساً على الولاة يرجعون اليهِ في اشغالهم وتخاطبهُ الدولة لجمع قواتها الحربية عند الاقتضاء وسمّي الرئيس الذي في اوربا « روم ايلي بكلربكي » اي رئيس بكوات الروم ايلي والرئيس الذي في اسيا « اناطولي بكلر بكي ». واقامة الاول في مدينة قلبه واقامة الثاني في مدينة كوتاهية وجعلت علامة لكل منهما تميزهُ عن غيرهِ في المواكب الرسميَّة وفي معسكرات الحروب وهي توخان يرفعان امامهُ وقد الغيت وظيفة اناطولي بكلربكي ولم تبقَ من الرتب اما روم ايلي بكلربكي فانها الغيت وظيفتها وبقيت مجرد عنوان يعطى تكريماً لبعض الرجال. اما الحائزون لرتبة الوزارة ولم يكن عددهم اكثر من سبعة فيرفع امامهم ثلاثة اتواخ . وعلامة فسطاط الحضرة السلطانيَّة تسعة اتواخ . واستعمال الاتواخ عادة قديمة مأخوذة من التركمان ولم تزل مستعملة في الجيوش النظاميَّة الاوربيَّة فعلامة ضابط اركان الحرب ذيل فرس معلق في صدر حصانهِ. وقد الغت الدولة العليَّة استعمال الاتواخ بعد الغاء جيش اليكجاريَّة

ثم كثر اعطاء الرتب ولم تبقَ مقيدة بعدد مخصوص وتوسعت الالقاب فزيد عليها

رتبتا باية الاصطبل العامر وامير الامرا ويلقب صاحب الرتبة الاخيرة بباشا. ودام الحال على ذلك الى سنة ١٢٤٨ هجريَّة في زمن السلطان محمود الثاني عند ما ابتدأ تنظيم الدولة العليَّة ثانية فقسم جميع مأموري السلطنة الى خمس مراتب وهي الدرجات المعروفة الآن بالكادر في الحكومات الاوربيَّة فاعتبر كلٌّ من كتخدا الصدارة وهو مستشارها الآن ودفتردار الخزينة العامرة (ناظر الماليَّة) ورئيس الكتَّاب (ناظر الخارجيَّة) وناظر المقاطعات من رجال الرتبة الاولى واطلق عليهم عنوان « سعادتلو افندم » واعتبر الجاوش باشي (ناظر العدليَّة) وامين الترسانة (وهي وظيفة انضمت الى منصب القبطان باشا واطلق عليها الآن اسم ناظر البحريَّة) وامين الطوبخانة (اي ناظرها) من رجال الرتبة الثانية وجعل لهم عنوان «عزتلو» واعتبر بكلكجي الديوان الهمايوني (وهو المكلف باعمال الرتب ونظاماتها وما يتعلق برسومها وبكتابة الفرمانات والخطوط السلطانيَّة) ومكتوبجي الصدارة ومعاون الديوان الآمدي الهمايوني (وهو المكلف بجميع المخابرات التي تقع بين البابين السلطاني والباب العالي) وكذلك كبار رجال الباب العالي من من ارباب الرتبة الثالثة وجعل لهم عنوان « رفعتلو» واعتبر امين الجزية وامين الجزريَّة (وهو المكلف بكمرك الدخان) وامثالهما من ارباب الرتبة الرابعة وجعل لهم عنوان « فتوتلو » واعتبر ذوو رتبة خواجكان ديوان همايون وامثالهم من رؤساء الاقلام من ارباب الدرجة الخامسة وأُطلق عليهم عنوان « فتوتلو » ايضاً

ثم كثر عدد رجال هذه الرتب فقسم ارباب الرتبتين الثانية والثالثة الى درجتين واعتبر الموظفون الحائزون لمراتب نظار الاقلام ارباب الرتبة الثانية من الصنف المتميز وغيرهم من ذوي الرتبة الثانية الاصليَّة بقوا على حالهم وكذلك اعتبر بكلكجي الديوان الهمايوني ومكتوبجي الصدارة وامثالهما من موظفي الباب العالي من ذوي الرتبة الثالثة من الصنف الاول واما الموظفون خارج الباب العالي فجعلوا من الرتبة الثالثة من الصنف الثاني . وقد الغي تقسيم الرتبة الثالثة سنة ١٢٥٢ وعادت رتبة واحدة كما كانت عليه ولم تزل كذلك الى الآن

وسنة ١٢٥٢ حُوِّل لقب كتخدا الصدارة او كتخدا بك الى ناظر الملكيَّة (ثم ناظر الداخليَّة سنة ١٢٥٣) وحُوِّل لقب رئيس الكتَّاب او رئيس افندي الى ناظر الخارجيَّة. وناظر المقاطعات الى دفتردار المنصورة . ودفتردار الخزينة العامرة مع امانة الضربخانة العامرة الى دفتردار الضربخانة العامرة . وهي الآن نظارة الماليَّة . ووجهت

الى ارباب هذه الوظائف مع ولاة الايالات رتبة الوزارة والمشيريَّة معًا مع لقب افندي كما كانوا . وبقوا كذلك الى سنة ١٢٥٣ وحينئذٍ وُجِّه الى ارباب الوزارة والمشيريَّة لقب باشا وهو ملازم لهم الى الآن وبعد ذلك بقليل انضمت وظيفة ناظر الداخليَّة الى الصدارة العظمى واطلق على صاحبها اسم « باش وكيل » ودام كذلك الى سنة ١٢٥٥ فاعيد لقب الصدارة وفي سنة ١٢٩٦ اعيد لقب الباش وكيل وسنة ١٣٠٠ اعيد لقب الصدارة كما كان. واحدثت اذ ذاك وظائف المستشارين وهم وكلاء الدواوين واعتبروا من رجال الرتبة الاولى ومثلهم الباش جاوش (الذي حول لقبهُ الى ناظر ديوان الدعاوي وهو ناظر العدليَّة حالاً) ومحاسبه جي الحرمين وهو ناظر الاوقاف الآن

وسنة ١٢٥٥ لقدم مستشار الصدارة ومأمور الماليَّة ودفتردار الخزينة العامرة الذين هم من رجال الرتبة الاولى على اصحاب رتبة « فريق » وزيد لفظ « حضرتلري » على عنوانهم الاصلي وهو « سعادتلو افندم » ويقال عند التكلم عن احدهم « المشاراليهِ » بدل « المذكور » واعتبروا من ارباب الرتبة الاولى من الصنف الاول ثم وجهت هذه الرتبة ايضًا الى ناظر الضربخانة وكتخدا (وكيل دائرة) والدة السلطان اما باقي رجال الرتبة الاولى فاعتبروا من الصنف الثاني

ولما كثر عدد رجال الرتبة الاولى من الصنف الاول وصارت تعطى للاشخاص من غير نظر الى الوظائف أُحدثت رتبة أُخرى سنة ١٢٦١ سميت « بالا » واطلق على ارباب عنوان « عطوفتلو » ونقرر ان المشيريَّة تنفصل عن الوزارة وتعادلها في الدرجة وخصصت المشيريَّة برجال العسكريَّة والوزارة برجال الملكيَّة واعتبرت الرتب القديمة رتبًا ملكية تعطى لرجال الادارة. واما الرتب الحديثة (اي التي اصلها درجات لوظائف مخصوصة وصارت درجات للرجال) فأُطلق عليها اسم « قلميَّة » وصارت تعطى اكثر من الرتب القديمة لاتجاه الانظار اليها على حسب العادة من الرغبة في كل جديد وهذه الرتب القلميَّة تمتاز عن الرتب الملكيَّة بان ليس لها لقب مخصوص فان " الباشا " لا وجود لهُ فيها والبك والافندي او الاغا لا ارتباط لهُ بواحدة منها فربما لقب صاحب رتبة بالا في الدرجات العلميَّة بلقب " افندي " وتقدم على صاحب رتبة روم ايلي بكلربكي في الدرجات الملكيَّة الذي يلقب باشا

ذكرنا ان مستشار الصدارة وبعض كبار المأمورين الذين درجتهم تعادل درجتهُ وهم من ارباب الرتبة الاولى من الصنف الاول كانوا يتقدمون على الحائزين لرتبة فريق

في العسكريَّة ولما كثر عدد رجال الرتبة الاولى صاروا كلهم يتقدمون على الفريق ايضاً فانف رجال العسكرية من ذلك وتقرر في سنة ١٢٧٧ عند جلوس السلطان عبد العزيز ان رجال السيف يتقدمون على من سواهم ما عدا العلماء اذا تعادلت رتبهم ولم يستثن من ذلك الاَّ الاشخاص الحائزين لرتبة الوزارة اذا كانوا من وكلاء السلطنة بالفعل فانهم يتقدمون على المشيرين وكذلك يتقدم ارباب الرتب القلميَّة على ارباب الرتب الملكيَّة الاَّ ما ندر من تقدُّم الميرميران على صاحب الرتبة الاولى من الصنف الثاني

ويتضح مما ذكر ان هذه الرتب الملكيَّة التي امتازت بها الدولة العليَّة عن سواها من الدول الاخرى كانت في الاصل وظائف اداريَّة او كتابيَّة او ترتيباً لدرجات المستخدمين كما هو الواقع في كادر الحكومة المصريَّة الآن ثم اهمل اصلها وصارت تعطى للاشخاص لمجرد التكريم او المزيَّة مثلاً. ثم انهُ لارابطة في توجيه هذه الرتب فترى كثيرين من ذوي الرتب القلميَّة يتولون مناصب ادارية وبالعكس

وهاك جدول الرتب القلميَّة والملكيَّة او الاداريَّة المستعملة الآن مع عنواناتها

الرتب الملكيَّة او الاداريَّة		الرتب القلميَّة	العنوان
وزير (باشا)	يقابل	...	دولتلو افندم حضرتلري
.....	"	بالا	عطوفتلو افندم حضرتلري
روم ايلي بكلر بكي (باشا)	"	رتبة اولى صنف اول	سعادتلو افندم حضرتلري
ميرميران (باشا)	"	رتبة اولى صنف ثاني	سعادتلو افندم
ميرامرا (باشا)	"	رتبة ثانية صنف متاز	عزتلو افندم
باية الاصطبل العامر	"	رتبة ثانية صنف ثاني	عزتلو بك او افندي او اغا
ركاب همايون قبوجي باشي	"	رتبة ثالثة	رفعتلو " " "
خواجكان ديوان همايون	"	رتبة رابعة	فتوتلو " " "
....	"	رتبة خامسة	فتوتلو " " "

هذا ما اردنا بيانهُ من اصل الرتب القلميَّة والملكيَّة في الدولة العليَّة وهو دليل على ان الدولة توخت دائماً خطة العمل لا خطة النظر وارادت برتبها الدلالة على مناصب رجالها في اعمالهم المختلفة فالرتبة كانت اولاً عنوان الخدمة الَّتي يقوم بها صاحبها سواء كان في الامور العلميَّة او العسكريَّة او الاداريَّة لكن احوال الزمان تقضي احياناً كثيرة ان يستعيض الانسان عن الحقيقة بالرسم